

تفوق الطب الوقائي في الإسلام

الدكتور عبد الحميد القضاة
اختصاصي علم الجراثيم والأمصال
مستشار الطب الوقائي في المستشفى الإسلامي
(مدير المختبرات التخصصية- أربد)

من الأبحاث المختارة في
المؤتمر العلمي الأول عن:
الإعجاز العلمي في القرآن والسنة
الجامعة الإسلامية العالمية- إسلام آباد

٢٣-٢٦ صفر ١٤٠٨ هـ

١٧-٢٠ أكتوبر ١٩٨٧ م

٦١٤ر٤٤

عبد عبد الحميد القضاة

تفوق الطب الوقائي في الإسلام / عبد الحميد

القضاة - عمان: المؤلف، ١٩٨٧ .

(٦٠) ص.

ر. أ (١٩٨٧/٩/٤١٣).

١- الطب الوقائي أ- العنوان.

تمت الفهرسة بمعرفة مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

الطبعة الأولى محرم ١٤٠٨ هـ - أيلول ١٩٨٧ م

تقدمه

يسعد إدارة المستشفى الإسلامي في عمان أن تنشر هذا البحث العلمي القيم الذي شارك به الدكتور عبد الحميد القضاة مندوباً عن المستشفى الإسلامي في المؤتمر العالمي للإعجاز العلمي في القرآن الكريم الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد بباكستان الشقيقة في الفترة ما بين ٢٣ صفر إلى ٢٦ ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ - ٢٠ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٨٧ م.

وإن إدارة المستشفى الإسلامي إذ تساهم في نشر هذا البحث القيم، فإنما تهدف إلى ترسيخ القناعة بأن الإسلام سيظل بإذن الله عز وجل قادراً على العطاء في جميع مناحي الحياة، ولتؤكد أن العطاء الإسلامي في مجال الطب عامة، ومجال الطب الوقائي خاصة، كان وسيظل بإذن الله عز وجل عطاءً رائداً على مر الدهور والعصور.

ولا يسعنا إلا أن نشكر لأخيना الدكتور عبد الحميد القضاة مستشار المستشفى الإسلامي لشؤون الطب الإسلامي والوقائي ما بذله من جهد في تحضير هذا البحث القيم، كما نتقدم بالشكر والتقدير إلى رابطة العالم الإسلامي والجامعة الإسلامية العالمية في

إسلام أباد إزاء ما بذلتاه من جهد في تنظيم ورعاية المؤتمر العالمي
الأول عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مدير عام المستشفى الإسلامي
الدكتور علي الحوامدة

المقدمة

معلوم أن الطب قد تقدم تقدماً مذهماً، خاصة فيما يتعلق بالتشخيص والعلاج، ومع أن النظرية الطبية الحديثة أصبحت تتجه نحو الوقاية، إلا أن الطب الوقائي بشكل عام كان أقل حظاً من غيره، لذا أصبح العالم يعجز بما تخلفه المخدرات من أمراض، وما تنشره الفاحشة من أوبئة فتاكة، رغم كثرة المستشفيات والمراكز الطبية المتقدمة، ورغم سهولة التشخيص، وتوفير العلاجات، وتضافر الجهود الصحية محلياً ودولياً.

وهذه الورقة، دراسة مقارنة، تظهر ما يتميز به الطب الوقائي في الإسلام من خصائص عظيمة على نظيره في القرن العشرين.

والطب الوقائي^(١)^(٢) كما يعرفه البروفسور ونسلو^(٣): هو العلم المتعلق بمنع انتشار الأمراض الجرثومية والنفسية والعضوية لتحسين أداء الأفراد والمجتمعات. وكل ما يقدمه العلم للحفاظ على

(١) K.S. Shah, (1983). Community medicine Vol., 1.

(٢) Leavll and Clark (1980). Preventive medicine, Mc Graw Hill.

(٣) Prof. Winslow, Professor of preventive medicine at Yale University

الفرد جسماً وسنياً يسمى صحة الفرد، أما ما يقدمه للحفاظ على الجماعات والبيئة التي يعيشون فيها فيسمى صحة المجتمع.

أما الطب الوقائي في الإسلام، فقد أرست قواعده منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان، يوم كان العالم يغط في سبات عميق، وقد جاءت هذه الأسس على شكل تعاليم عامة، تتضمن أوامر ونواهي، يمارسها المسلم تعبداً لله تعالى، وإن كان لا يعلم حقيقة فوائدها الصحية، وإنما يمارسها امتثالاً لأمر الله.

وعندما تقدمت العلوم في القرن العشرين، واكتشفت الأمراض ومسبباتها، وعرفت الجراثيم ووسائل انتقالها، وظروف معيشتها، بدأت تتكشف لنا بعض الحقائق الصحية، والحكم الطبية المذهلة التي تتطوي عليها التعاليم الإسلامية الخالدة، فزادتها نوراً على نور، ومن يرزق تضلعا في القرآن والسنة، يجد أن الإسلام لم يترك جزءاً من الطب الوقائي إلا وأشار إليه بعموميات واضعاً بذلك الخطوة الأولى، تاركاً لعقل الإنسان ومخبراته أن يبحث على هداها. والطب الوقائي في الإسلام ينقسم إلى قسمين رئيسيين يتضمن كل منهما مجموعة من الأوامر والنواهي، تكمل بعضها بعضاً، وتؤدي دوراً هاماً في مجالها وهذين القسمين هما:

أولاً: التعاليم الخاصة بصحة الفرد.

ثانياً: التعاليم الخاصة بنظافة البيئة وصحة المجتمع.

أولاً: صحة الفرد

وضع الإسلام مجموعة من التعاليم والإرشادات، للحفاظ على صحة الفرد، ليبقى معافى في جسمه ونفسه، ويمكن قسمتها إلى أربعة أقسام يكمل كل واحد منها الآخر وهي:

(١) النظافة الشخصية لمنع الأمراض الجرثومية: وهذه تتأتى من مجموعة من الممارسات اليومية التي يقوم بها المسلم عبادة لله تعالى وهي:

(أ) الوضوء: يتكرر عدّة مرات يومياً، وينظف الأجزاء المكشوفة من جسم الإنسان، وهي الأكثر تلوثاً بالجراثيم، وقد أثبت علماء الجراثيم وجود أعداد هائلة من الجراثيم على السنتمتر المربع من الجلد الطبيعي، وفي المناطق المكشوفة يتراوح العدد بين ١-٥ مليون/سم^٢(٤). وهذه الجراثيم في تكاثر مستمر، حتى قد تصل إلى ضعف ذلك في ساعة، وللتخلص منها لا بد من غسل الجلد باستمرار، ولا غسل أكثر ديمومة وتكراراً من الوضوء الذي أمرنا الله به، وحثنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال

Theodor Rosebury (1969). Life on man. (٤)

"لا تقبل صلاة بغير طهور"^(٥) وقال "من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره"^(٦). ومع أن الوضوء واجب لأمرين، إلا أنه سن لأمر عديدة.

(ب) نظافة الجسد: جلد الإنسان هو أوسع عضو فيه، إذ تبلغ مساحته حوالي مترين مربعين^(٧)، وعليه من الجراثيم ما لا يمكن حصرها^(٨). وخير تشبيه للجلد ذاك الذي ذكره الدكتور كلقمان^(٩)، حيث شبه الجلد بما عليه من أنواع الجراثيم البكتيرية والفيروسية والفطرية والطفيلية التي لا يعلم أعدادها إلا الذي خلقها، وما بينها من عداوات وحروب، وما لها من أشكال ومتطلبات، شبهه بالكرة الأرضية بما عليها من مخلوقات حية، وما بينها من اختلافات شتى. وربما يزيد عدد الجراثيم المختلفة على الجلد الطبيعي على عدد سكان الأرض قاطبة. وهناك دراسات عديدة قام بها علماء متخصصون منهم البرفسور

(٥) رواه مسلم في صحيحه. ج ١.

(٦) رواه مسلم في صحيحه، ج ١.

(٧) Noble and Somerville (1974) Microbiology of human skin.

(٨) Theodor Rosebury (1969), life on man.

(٩) Kilgman (1965), skin bacteria and their role in infection

فايندوف^(١٠) الذي أثبت أن الاستحمام الواحد يزيل عن جلد الإنسان أكثر من مئتي مليون جرثومة، ولأن هذه الجراثيم لا تقف لحظة عن التكاثر، فلا بد من إزالتها بشكل دوري ومستمر، لتبقى أعدادها قليلة، بحيث يستطيع الجسم مجابهتها، ومن أسرار الطب الوقائي في الإسلام أن جعل النظافة أمراً تعبدياً مما يجعل فيها روحاً وديمومة لا يستطيعها أي قانون آخر. قال صلى الله عليه وسلم (حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجلده^(١١)) وقال أيضاً (غسل يوم الجمعة على كل محتلم وسواك ويمس من الطيب ما قدر عليه)^(١٢). وقد سن لنا الرسول الكريم الغسل في مواقف عديدة كغسل الجنابة، والحيض والنفاس، والجمعة والعيدين وغيره، كل ذلك من شأنه أن يجعل من المسلم متميزاً في نظافته^(١٣).

(ج) نظافة الفم: الفم مدخل رئيسي للجسم، منه تعبر أرتال من الجراثيم الضارة، وفيه تستقر أنواع واعداد هائلة من الجراثيم البكتيرية والفيروسية والطفيلية، وقد زادت

(١٠) Vindoff (1969), skin and Venereal diseases.

(١١) رواه الشيخان، فقه السنة، ج ١.

(١٢) نفس المصدر السابق.

أنواعها في فم الإنسان عن مائة نوع كما تقدر أعدادها أحيانا بالملايين وأخرى بالبلايين في الملتر المكعب الواحد من اللعاب، وهذه الجراثيم تتكاثر بسرعة هائلة حتى تصل إلى الضعف في الساعة الواحدة، وتتراوح أعدادها عادة بين (٥٠٠ - ٥٠٠٠) مليون جرثومة/ مللتر من اللعاب، وهي تتغذى على بقايا الطعام المتسرب على الأسنان وبينهما، وينتج عن نموها وتكاثرها أحماض وإفرازات كثيرة، تؤثر على الفم ورائحته، وعلى الأسنان ولونها وأدائها، ومن الأمراض التي تسببها تسوس الأسنان والتهابات اللثة^(١٤).

ومنذ عهد الرومان حتى القرن السادس عشر انتشرت في أوروبا عادة المضمضه بالبول، وقد كانوا يفضلون البول الأسباني، فان لم يتيسر استعاضوا عنه ببول الثيران^(١٥). ولم يهتم نظام بنظافة الفم كالإسلام، حيث أن نظافة الفم ترد في الضوء (المضمضة) وخلخلة الأسنان من بقايا الطعام، واستعمال السواك في جميع

(١٣) دراسة قام بإعدادها رحمان ورسل في كلية طب جامعة مانشستر عام ١٩٧٧.

(١٤) الدكتور عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد (١٩٨٢)، السواك والعناية بالأسنان.

(١٥) الدكتور شوكت الشطي (رسالة في تاريخ الطب).

الأوقات حتى أثناء الصيام، قال صلى الله عليه وسلم
(أكثرت عليكم بالسواك) ^(١٦) وعن عامر بن ربيعة رضي
الله عنه قال (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مالاً
أحصى يستاك وهو صائم) ^(١٧).

وقد أثبت العلم الحديث أن التسوس يحدث نتيجة
اجتماع عدة عوامل، منها فضلات الطعام ووجود الجراثيم
وتخرش سطح السن، فعندما تتوفر هذه العوامل تنمو
الجراثيم وتتكاثر وتحدث تغيرات على سطح السن واللثة،
فتتبعث الرائحة، وتتسوس الأسنان وتميل إلى الصفرة ^(١٨)
وعند المضمضة واستعمال السواك، تزال بقايا الطعام
تلقائياً كما تزال الجراثيم كذلك، أما المواد الكيميائية التي
تفرز من السواك، فتتحد مع لعاب الإنسان، لتصبح أكثر
فاعلية في قتل الجراثيم ^(١٩)؛ فعند إزالة بقايا الطعام

(١٦) رواه البخاري.

(١٧) نفس المصدر السابق.

(١٨) Zinsser Microbiology (1968) 14th edition New York

(١٩) دراسة قدمها الدكتور باسم المنشاوي بعنوان (السواك واستنباطات صيدلية جديدة) المؤتمر
الطبي الإسلامي الأول/ القاهرة ١٩٨٧م.

والجراثيم باستعمال السواك دورياً تقل الفرصة أمام
المرض في فم المسلم^(٢٠).

(د) سنن الفطرة: واستكمالاً للنظافة الجسدية والمظهر المتزن،
جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليمات واضحة،
أطلق عليها اسم سنن الفطرة، حيث قال (خمس من
الفطرة، الاستحداد والختان وقص الشارب ونتف الإبط
وتقليم الأظفار)^(٢١)، وقد كشفت لنا العلوم الطبية عن
أهمية صحية بالغة لمثل هذه الممارسات، فترك الأظفار
مجابة للمرض، حيث تتجمع تحته ملايين الخلايا
الجرثومية، وبذا يلعب الأظفار دوراً بالغاً في نقل الأمراض
البكتيرية والفطرية والطفيلية والفيروسية، ولأن اليد
أسرع تلوثاً من غيرها بحكم عملها، فقد أعطاه الإسلام
عناية خاصة، فسن استعمال اليد اليمنى في تناول الطعام
والمصافحة، واليسرى في الاستتجاء، مع التشديد على
نظافة اليد بشكل خاص، قال صلى الله عليه وسلم (بركة

(٢٠) دراسة قدمها الدكتور محمد حسني مصطفى بعنوان (تقييم إكلينيكي للسواك وتأثيره على
التهابات اللثة) المؤتمر الطبي الإسلامي الأول/ القاهرة ١٩٨٧.
(٢١) رواه الجماعة فقه السنة، ج ١.

الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده) (٢٢) وهكذا يصبح ترك الأظفار دون تقليم، مأوى مناسباً للجراثيم مهما حاول الإنسان تنظيفها، وهناك أمراض كثيرة وعديدة تنقلها الأظافر غير النظيفة ذكرها الدكتور سامان في كتابه (الأظافر ودورها في جراثيم الأمراض) المنشور عام ١٩٨٧.

أما الاستعداد فله أهمية صحية على الإنسان من نواح شتى، فمن الناحية الصحية ساعد ترك شعر العانة في البلاد الشرقية والغربية على نشر مرض خاص يسمى قمل العانة حيث أصبح من الأمراض التي تنتقل بالاتصال الجنسي، ويسببه نوع من القمل لا يعيش إلا على شعر العانة، ويصاب به أعداد كبيرة سنوياً في الغرب من الذكور والإناث (٢٣).

وأما نتف الإبط: فلأن الإبط مكان كثير التعرق، وبذا تتجمع فيه الأوساخ، التي تشكل وسطاً مهماً لنمو الجراثيم خاصة الفطرية منها، ناهيك عما يصدر عنه من رائحة،

(٢٢) رواه أبو داود والترمذي في الترغيب والترهيب، ج ٣.

(٢٣) (الأمراض الجنسية عقوبة الهية) ١٩٨٤، د. عبد الحميد القضاة.

وعند نتف الإبط، تقل فرصة تجمع مثل هذه الأوساخ وبالتالي تقل الجراثيم.

أما الختان فعند الذكور مدعاة للنظافة، حيث أن القلفة تهيئ وسطاً مناسباً تحتها لنمو العديد من الجراثيم التي تسبب التهابات كثيرة، وهذه تقل كثيراً عند الختان، أما سرطان عنق الرحم فهو أقل عند نساء المسلمين من غيرهن نتيجة ختان أزواجهن، وهناك أمراض (تصيب العضو الذكري) لا علاج لها إلا الختان^(٢٤).

وأما قص الشارب فلأن الشارب إذا طال تلوث بكل ما يشربه الإنسان، وبالتالي يساعد على تلوث الفم، علاوة على أن بعض الجراثيم تهوى العيش على مادة الشعر نفسها، بالإضافة إلى أنه يسبب إزعاجاً ونوعاً من الحساسية لبعض الزوجات.

وهناك أحاديث كثيرة ذكرت أموراً أخرى من سنن الفطرة وكل منها له دور هام في النظافة. أما انتقاص الماء (الاستجاء) فله دور خاص في النظافة حيث أن التخلص من بقايا البراز مهم جداً من الناحية الصحية، حيث أثبتت الدراسات أن الغرام الواحد منه يحتوي على مئة ألف

مليون خلية بكتيرية^(٢٥) عدا عن الجراثيم الأخرى التي لا يعلم أعدادها إلا الذي خلقها، وكثير من الأمراض الجرثومية تنتقل بتلوث الي بكمية قليلة من البراز، ورغم قلتها يوجد فيها ملايين الجراثيم، وقد ثبت أن حاملي جرثومة التيفويد ربما يكون في الغرام الواحد من برازهم أكثر من خمسة وأربعين مليوناً من بكتيريا التيفويد^(٢٦). أما مريض الديزنتاريا البكتيرية أو الطفيلية أو مريض الكوليرا وغيرها فمن المستحيل إحصاء أعداد الخلايا الجرثومية التي تخرج منهم يومياً لكثرتها. ولكن تلوث اليد والملابس لهما دور كبير في نشرها، لذلك ركز الإسلام على استعمال اليد اليمنى للمأكل والمشرب والمصافحة واليد اليسرى للاستتجاء. حيث قال صلى الله عليه وسلم (لا يمسن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول ولا يتمسح من الخلاء بيمينه ولا يتنفس في الإناء)^(٢٧).

وقد أثبتت دراسة أجريت في كلية طب جامعة مانشستر أن البكتيريا تنفذ من ثماني طبقات من ورق

(٢٤) نفس المصدر السابق.

(٢٥) Hill (1971) J. Pathology, 104, 239

(٢٦) Thomson (1954) J. Hygiene 52 67

(٢٧) رواه مسلم - صحيح مسلم، ج ١.

التواليت إلى اليد وتلوثها أثناء عملية التخلص من بقايا البراز، وهكذا يبقى الماء أفضل وسيلة للتنظفة^(٢٨).

(ه) التنزه من البول: البول مجموعة من المواد السامة، يتخلص منها الجسم عن طريق المجاري البولية، فهو بالإضافة إلى المواد الكيميائية التي يحتوي عليها، ملوث بالعديد من الجراثيم حتى في حالات الجسم الطبيعي، وعلم الجراثيم السريري يعتبر أن صاحب البول، مريض بالتهاب المجاري البولية إذا زاد عدد الجراثيم عن مئة ألف جرثومة في السنتمتر المكعب الواحد من البول^(٢٩)، إما إذا قل العدد عن ذلك فلا يعتبر صاحبه مريضاً، وهكذا يكون البول مملوءاً بالجراثيم في أحسن الأحوال، وتلوث الملابس به يعني تلوثها بمواد سامة وجراثيم كثيرة، لذا يركز الإسلام على نظافة الملابس ويجنبها التلوث به (وثيابك فطهر)^(٣٠). وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: أنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول وأما الآخر فكان يمشي

Microbiology Laboratory manual Dept, Of Bacfriology and Virology (٢٨)
Medical School University of Manchester. 1979.

Baily and Scott's Diagnostic microbiology 5th edition, (1978) (٢٩)

بالنميمة) (٣١). وهكذا عندما تكون هذه الممارسات جزءاً من حياة المسلم اليومية، تصبح احتمالية إصابته بالأمراض الجرثومية ضئيلة جداً، ومهما بلغت التعليمات الحديثة من الدقة فلن تكون لها قاعدة جماهيرية عريضة، كتلك التي تمتد شرقاً وغرباً امتداد العالم الإسلامي ذاته.

٢. العناية الشخصية لمنع الأمراض العضوية

أ. تنظيم الطعام وفرض الصيام: الإفراط في الطعام يؤدي للسمنة وتصلب الشرايين ومرض النقرس وغيرها، وقد ثبت أن الصيام وتقليل الطعام خير علاج (٣٢)، ذلك لأن المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء، وللإسلام نظرية الاعتدال في الطعام (... كلوا واشربوا ولا تسرفوا...) (٣٣). وشهر رمضان من الناحية الصحية كالإجازة السنوية للموظف، فهو يريح المعدة، ويذيب بعض ما تراكم من دهنيات في الجسم (يا أيها الذين

(٣٠) المدثر، آية ٤٠.

(٣١) صحيح مسلم ج ١.

(٣٢) Triumph over disease by J. Goldstein (1977).

(٣٣) الأعراف آية ٣١.

آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٣٤).

ب. الحث على الرياضة البدنية: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير (٣٥)، فتعليم الأولاد الرماية والسباحة وركوب الخيل وتحمل الأعباء وكل ما من شأنه أن يقوي أجسامهم أمور يحبها الله ورسوله، لأن صاحب الإيمان القوي والجسم القوي أقدر على الجهاد وتحمل المشاق في سبيل دينه ووطنه.

٣. الحث على المعالجة والبحث عن الدواء الصحيح: معلوم بداهة أن الله خلق الداء وخلق له الدواء، ولا يستوي في الإسلام القعود والالتكال مع البحث عن العلاج، فالمسلم مأمور بالأخذ بالأسباب، والرسول الكريم يقول (لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل) (٣٦) ولا يخفى ضرر ترك المرض دونما علاج على الفرد والمجتمع.

(٣٤) البقرة آية ١٨٣.

(٣٥) رواه مسلم في صحيحه.

(٣٦) رواه مسلم في صحيحه.

٤. الإيمان وأثره في الشفاء من الأمراض: يقوي الناحية النفسية ويحمي من أمراض القلوب، وينشط جهاز المناعة، فيصبح الجسم أقدر على مقاومة الأمراض، علاوة على أن الإسلام يعتبر المرض مكفراً للذنوب، وبهذا المعنى يقول صلى الله عليه وسلم (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حظ الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها) وللدكتور بول أودلف باع طويل في إثبات ما للحالة النفسية والمعنوية عند الإنسان من أثر في الأمراض العضوية والشفاء منها^(٣٧).

ثانياً: نظافة البيئة وصحة المجتمع

إن تركيز الإسلام على صحة الفرد، يهيئ لنا مجتمعاً قوياً سليماً، وبيئة نظيفة، وهناك أمور عامة لا يوجد فرد بعينه مسؤول عنها، لذلك وضع الإسلام حوافز للتنافس في الحفاظ عليها لتكون البيئة الإسلامية نظيفة والمجتمع الإسلامي سليماً، وقد تركزت الأوامر والنواهي بالأمور التالية:

١. نظافة البيئة وحمايتها من التلوث: وهذه تتأتى مما يلي:

(٣٧) مجلة المجتمع العدد ٩٨ لعام ١٩٧٢.

(أ) نظافة المساكن والأقنية: ولا يخفى دورها في نشر الأمراض إذا أهملت، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (نظفوا أفناءكم ولا تشبهوا باليهود) (٣٨).

(ب) نظافة الطرقات وأماكن التجمع، كالمدارس والملاعب والحدائق العامة والمستشفيات والمساجد وغيرها، وهذه لها دور عظيم في نشر الأوبئة إذا أهملت وتلوثت بالبراز والقاذورات، والرسول الكريم يقول (اتقوا اللعانين). قالوا وما اللعانان يا رسول الله، قال الذي يتخلى في طريق الناس وفي ظلهم) (٣٩). والعلم الحديث يقول أن الغرام الواحد من براز الإنسان يحتوي على أكثر من مئة ألف مليون جرثومة، وينتقل بواسطته أمراض كثيرة كالتيفويد والذنتاريا والكوليرا (٤٠).

(ج) منع اقتناء الكلاب إلا للضرورة: وهذا لا يعني عدم الرفق بالحيوان، ولكن الإسلام بالإنسان أرفق، وقد أثبت العلم الحديث أن الكلاب تنقل أمراضاً كثيرة للإنسان كداء الكلب

(٣٨) مستند البزار من كتاب (زاد المعاد في هدي خير العباد) للإمام ابن قيم الجوزية.

(٣٩) رواه مسلم في صحيحه.

(٤٠) Hill (1971). J. Pathology. 104 239-

والكيس المائي^(٤١). والرسول صلى الله عليه وسلم يقول
(من اتخذ كلباً إلا كلب صيد أو زرع أو ماشية، انتقص من
أجره كل يوم قيراط)^(٤٢).

٢. الاهتمام والحذر من وسائط نقل الأوبئة: وهي بشكل
رئيسي^(٤٣)، الهواء وينقل الخناق والسل، والماء وينقل
الكوليرا والبلهارسيا، والطعام وينقل التسمم وشلل الأطفال.
والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (غطوا الإناء واوكوا
السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس
عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك
الوباء)^(٤٤).

٣. قواعد صحية لمنع انتشار الأوبئة:

(٤١) Animal and human health (1977) by C.H. Andrewes and J. R. Wwalton.

(٤٢) متفق عليه من كتاب (الحلال والحرام) د. يوسف القرضاوي.

(٤٣) Medical Microbiology, 13th edition Vol 1 Microbial infection, Dugnid, (٤٣)
Marmion, Swain Churchill Livingstone

(٤٤) رواه مسلم في صحيحه

أ) قاعدة العزل: الأمراض التي يتم العزل فيها اليوم كثيرة، منها الخانوق، والسل الرئوي، والجذري، وداء الكلب والكوليرا والرسول الكريم يقول (لا يوردن ممرض على مصح) (٤٥).

ب) قاعدة الحجر الصحي: وتطبق في مرض الطاعون والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه) (٤٦).

٤. تحريم بعض الأطعمة والأشربة والزنا واللواط:

أ) تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير: والله تبارك وتعالى يقول (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به....) (٤٧).

ب) تحريم الخمر والمخدرات: والله تبارك وتعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) (٤٨).

(٤٥) بخاري ومسلم

(٤٦) رواه الشيخان.

(٤٧) المائدة آية ٣.

(٤٨) المائدة آية ٩٠.

ج) تحريم الزنا واللواط وكل ما يفضي إليهما: والعالم الآن يئن من وطأة الأمراض الجنسية التي أصبحت تتصدر قائمة الأمراض المعدية، حيث يصاب في العام الواحد أكثر من سبعمائة وخمسين مليوناً من الشباب والشابات بهذه الأمراض الجنسية^(٤٩).

ولما لهذه الأطعمة والأشربة والممارسات الخاطئة من آثار سلبية على صحة الفرد وصحة المجتمع، فقد حرمها الإسلام في محكم تنزيله كما حرم مجرد الاقتراب منها والتفكير فيها حيث يقول الله تبارك وتعالى (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً)^(٥٠).

(٤٩) (الأمراض الجنسية عقوبة الهية) ١٩٨٤ د. عبد الحميد القضاة.

(٥٠) الإسراء آية ٣٢.

خصائص الطب الوقائي في الإسلام

إن المتتبع لنظرية الطب الوقائي في الإسلام، يستطيع إدراك الخصائص التالية فيها وهي:

١. قصب السبق: مجموعة القواعد الوقائية في الإسلام، سواء كانت وحيًا يتلى أو وردت على لسان الذي لا ينطق عن الهوى، إنما هي نمط من التشريع والأحكام، الذي أعقب في نزوله العقيدة، وبالتالي نزلت المجتمع أسلم قيادته لله تعالى بادئ ذي بدء، ويستطيع المتتبع لها، القادر على استنباط الأحكام منها أن يصوغها في قوانين وأنظمة وتعليمات، شأن سائر الأحكام التي استنبطها ويستنبطها فقهاء المسلمين من آيات الأحكام الواردة في القرآن الكريم، وهي حلقة من مجموعة حلقات تهدف إلى إسعاد البشرية. لتتحقق عمارة الأرض وخلافة المسلم فيها، وهي تدل بوضوح تام على أن الذي أنزلها إنما أراد قيام بيئة إسلامية ومجتمع إسلامي سليم. والإنسان في المنظور الإسلامي أفضل خلق الله وأحبهم إليه، فإذا ما تحققت به صفة العبودية لله، أحاط بسياج من التشريعات لتستقيم على هديها وفي ظلها أحواله، ومن جملتها هذه القواعد الوقائية. ومعلوم

بداية أنها تعود زمنياً إلى الفترة التي انقطع بها وحي السماء عن الأرض، كما هو معلوم أيضاً أنه كان في هذه الفترة وبعدها وقبلها بآلاف السنين أمم وحضارات، ولعل أقربها زمنياً إلى تلك الفترة حضارات والروم والأنباط، وأقربها جغرافياً حضارات ما بين النهرين واليمن والحبشة ووادي النيل، وقد نبغ أصحاب هذه الحضارات في كثير من الفنون التي لازالت ماثلة للعيان في العديد من ديارنا الإسلامية، ومع هذا لم تدل مخلفاتهم من نقوش وكتب إلى ما يشير إلى احتواء هذه الحضارات على قواعد صحية كتلك التي نراها في الإسلام. الأمر الذي يجعل من هذا السبق خصيصة تنفرد بها نظرية الطب الوقائي في الإسلام، ويعطيها الأولوية على سائر الحضارات.

٢. المصادقية: إن الحقيقة العلمية الصحيحة تطابق تمام المطابقة، الحقيقة العلمية الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومع أن الإسلام ليس متهماً يحتاج إلى دليل وشهادة لبراءته، إلا أن مثل هذه المطابقة تزيد المؤمنين إيماناً، وتزداد معها عظمتة في نفوسهم، عندما تصبح بدهيات الإسلام الذي أنزل قبل أربعة عشر قرناً من الزمان هي غاية ما يصبو العلم الحديث الوصول إليه، وهكذا لا تزيده الأيام إلا بريقاً ولمعناً،

شأن المعادن الثمينة التي تحتفظ بقيمتها وبريقها مهما تقام الزمن وعلت التراكمات.

٣. البساطة والتيسير: إن الممتبع لنظرية الطب الوقائي في الإسلام يلاحظ فيها خاصية البساطة في التكليف واليسر في التنفيذ، فهي لا تستلزم كلفة مالية تثقل الكاهل، ولا جهداً مرهقاً يفقد الهمم، ولا وقتاً يقلل من العطاء والإنتاج، ولا مشقة تفوت معها متعة. فلو قدرت ما يحتاج إليه تطبيقها في حياة الأفراد والجماعات من مال وجهد ومشقة لأدرت فيها خاصية البساطة واليسر، فكم هو المال والوقت اللازمين لعملية السواء والوضوء والختان والاستحداد وتقليم الأظافر وנטف الإبط وطهارة البدن والثوب؟ وكم هو الجهد اللازم لتجنب الملاعن الثلاث وعدم الوطء في الحيض والنفاس وعدم الوقوع في الزنا؟

٤. المؤهل: إن الباحث في نظرية الطب الوقائي في الإسلام، لا بد وأن يلاحظ تطبيقها في حياة الأفراد والجماعات لا يحتاج إلى مراسيم خاصة، أو إجراءات معقدة، تستلزم قدراً عالياً من المعرفة أو حداً متميزاً من الذكاء أو مؤهلاً علمياً معيناً، فهي من البساطة واليسر بحيث يكفي أن يلاحظها الطفل الصغير

معايشة في بيت والديه، ليعتادها عادة تنتهي بعد مدة إلى عبادة
يبتغي بها وجه الله تعالى.

٥. الذاتية في التنفيذ: لئن احتاج التعليم آلاف المرين، والصحة
والسلامة إلى مثل ذلك من الفنيين والمتخصصين، والتجارة
والتموين إلى مثله لمراقبة الالتزام وحسن التنفيذ. فإن تطبيق
نظرية الطب الوقائي في حياة الأفراد والجماعات في المجتمع
الإسلامي لا يحتاج إلى شيء من ذلك، فالالتزام بقواعدها يتم
تلقائياً يتوارثه الأبناء عن الآباء ثم تصبح في نفوسهم جزءاً
من عقيدتهم، وعبادة يتقربون بها إلى الله، وبالتالي لا يسمح
المسلم لنفسه أن ينخلع من هذه القواعد، لأنه يعتقد أن جسمه
عنده أمانة ينبغي المحافظة عليه، وأنه على ثغرة من ثغرة
الإسلام، يحرص أن لا يؤتى المجتمع الإسلامي من ثغرتة.
وهكذا لا يستلزم تطبيقها في حياة الناس إلى جهاز صحي
متخصص يتولى المراقبة والمتابعة.

٦. الشمولية: إن شأن القواعد الوقائية في الإسلام شأن سائر
الأحكام والتكاليف الواردة في القرآن الكريم من حيث قوة
الإلزام ووجوب النفاذ، وتتميز عن نظرية الطب الوقائي الحديث
بشموليتها، إذ أنها تتعامل مع الإنسان على أنه مادة وروح،

وعلى أنها ملزمة لكل من تحققت به صفة الإسلام، فهي إلى جانب وقاية الإنسان من كل مكروه، نتيجة إحاطته بهذا السياج الأمين من الأحكام والتكاليف، تغوص إلى أعماقه، فتخاطب به نفسه وقلبه الذي بين جنبيه وتمألهما بمحبة الله والخوف منه والرجاء بما عنده، وأن ما عنده أكثر وأعظم مما قد يخطر على بال بشر، وبالتالي تسمو بهما عما عند الناس، وهكذا تفيض النفس الإنسانية قناعة وطمأنينة لا يتعايش معها غل أو طمع ولا حقد أو ضغينة ولا كراهية أو يأس أو حسد تلك التي أورثت النفوس الخالية من الإيمان أمراضاً يستعصي علاجها بغير الإيمان فقد أودت بحياة الملايين من الناس نتيجة الإدمان على المخدرات والجنس والممارسات الخاطئة، وهكذا تعني نظرية الطب الوقائي في الإسلام بالإنسان ونفسه وقلبه وبيئته.

٧. الحماية من الأمراض الجنسية: نظرية الطب الوقائي لم تنصب شراكاً للإنسان حتى يقع في الفخ ثم تتولى معالجته، ولم تفترضه ملاكاً يدب على الأرض، بل تعاملت معه على أنه مادة وروح وله عواطف وأحاسيس، وأن بين جنبيه غريزة يجب إشباعها، وبالتالي لم تترك له الأمر على الغارب، بل جففت مسبقاً كل موارد الجريمة وكل طريق يؤدي إليها أو يثير كوامن النفس للتفكير فيها، فمنعت الاختلاط والتبرج والخلوة واللباس

الفاحش والزينة المحرمة، والنظرة المحرمة، ثم وضعت له الضوابط الكفيلة بتلبية غريزته الجنسية بلا رهبانية خانقة ولا إباحية بهيمية. وهكذا فبهذه الواقعية في التعامل مع الإنسان جنبته ويلات الأمراض الجنسية التي تنن منها اليوم المجتمعات الشرقية والغربية على السواء.

٨. التركيز على نظرية الوقاية: تتولى مجموعة القواعد الوقائية في الإسلام قيادة أمر المسلم قبل وقوعه فريسة للأمراض، بل منذ أن تحققت به صفة الإسلام، فهي لا تنتظره حتى يمرض لتبشر عملها، إنها معه من بداية المشوار، تسد عنه كل نافذة قد تؤذيه، وتضع دونها الحواجز والعراقيل حتى لا تصل إليه (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) وبعد هذا إن حصل واجتاح ديار الإسلام وباء ما، فإنها تأمر الذين فيه، الصبر عليه واحتسابه امتحاناً من الله يكفر به خطاياهم ثم البقاء في مكانهم وعدم القدوم عليهم حتى يصرف الله عنهم هذا الوباء ووعد الذي يقضي في هذا المرض بأن له الجنة (من مات مطعوناً فهو شهيد) لقاء تفضيله مصلحة المجتمع على مصلحته.

٩. الديمومة: إن الالتزام بقواعد الطب الوقائي في الإسلام، ليس مرهوناً بمدة محددة ولا بسن معينة ثم يحال صاحبها على المعاش، إنما يستمر الالتزام بها طيلة حياة المسلم على الأرض ذلك لأنها جزء من عقيدته، لذا يبقى قائماً عليها، ملتزماً بها حتى يوارى التراب، فإذا تخلف عن تنفيذها يكون قد ترك تكليفاً شرعياً وعطل حكماً من أحكام الإسلام ربما يخرج من دائرة الإسلام إذا ما أصر على إنكاره، وبهذه الديمومة يضمن الإسلام مسلماً قوياً ومجتمعاً نظيفاً.

١٠. إن مجموعة القواعد الوقائية في الإسلام رغم كمالها وكفايتها الصحية للفرد والمجتمع، ورغم سهولة تنفيذها وديمومة التزام المسلم بها، إلا أنها لا تؤتي ثمارها إذا ترك المسلم الالتزام ببقية الأحكام الشرعية الأخرى، فهي جزء من نظام كامل متكامل، ينفع البشرية إذا سلمته زمامها وولته قيادتها، أما الالتزام ببعض أحكام الإسلام وترك البعض الآخر، كما هو شأن المسلمين اليوم، فهو نوع من الالتزام الممقوت الذي لا يضمن ولا يغني من جوع، ونوع من التخبط وهدر الوقت والجهد، فترك الصيام مثلاً يرافقه ترك للصلاة، وترك الصلاة يسقط فريضة الوضوء وفريضة الغسل من الجنابة والحيض والنفاس، كما يسقط سنة السواك وسنن الفطرة، وهكذا

فالتنازل عن حلقة، يجر إلى التنازل عن عدة حلقات غيرها،
حتى ينفرد عقد السبحة عن آخره.

الخلاصة

هذه الورقة دراسة مقارنة بين الطب الوقائي في القرن العشرين ونظرية الطب الوقائي في الإسلام. وقد أتينا على تعريف الطب الوقائي المعاصر، وعلى شيء من التفصيل لنظرية الطب الوقائي في الإسلام، في حدود ما وسعنا الوقت، حيث تبين أن الإسلام لم يترك شاردة ولا واردة تتعلق بالطب الوقائي إلا وذكرها تلميحاً أو تصريحاً، تاركاً لفقهاء المسلمين مهمة استنباط الأحكام والأنظمة والتعليمات من هذه النصوص. ثم خلصنا إلى خصائص نظرية الطب الوقائي في الإسلام التي فاقت الطب الوقائي المعاصر وهي:

١- قصب السبق: شهدت المنطقة عدة حضارات سابقة ومعاصرة للإسلام، وبرعت هذه الحضارات بشتى الفنون، ومع هذا لم تدل مخلفاتها على قواعد صحية كالتى نراها في الإسلام، الأمر الذى يعطى الإسلام مقام الأولوية والصدارة والأستاذية في هذا المجال.

٢- المصادقية: الإسلام لا يحتاج إلى براءة على كماله، إلا أن مطابقة الحقيقة العلمية في العصر الحديث، للحقيقة الواردة في

القرآن الكريم والسنة المطهرة، تزيد المؤمن إيماناً، وهكذا تصبح بدهيات الإسلام غاية ما يصبوا العلم الحديث الوصول إليه.

٣- البساطة والتيسير: الالتزام بقواعد الطب الوقائي في الإسلام، لا يستلزم كلفة مادية ولا جهداً ولا وقتاً ولا مشقة، لذلك فتنفيذها يتميز بالبساطة في التكليف، واليسر في التنفيذ.

٤- المؤهل: الالتزام بقواعد الطب الوقائي في الإسلام، لا يحتاج إلى مراسيم خاصة ولا إلى إجراءات معقدة تتطلب مؤهلاً عالياً أو قدراً زائداً من الذكاء لا يستطيعه الإنسان العاجي، بل يكفي أن يراها الصغير معيشة في بيت والديه، ليمارسها عادة ثم يلزم نفسه بها عبادة.

٥- الذاتية في التنفيذ: إن تطبيق قواعد الطب الوقائي في الإسلام يتم تلقائياً، يتوارثه الأبناء عن الآباء ثم يصبح الالتزام بها جزءاً من عقيدتهم يتقربون بممارستها إلى الله، ولا يسمح المسلم لنفسه أن ينخلع من هذه القواعد، لأنه بهذا ينخلع من ربة الإسلام، ولأنه على ثغرة من ثغر الإسلام فيحرص أن لا يؤتى المجتمع الإسلامي من ثغرة. وهكذا فتطبيقها في حياة الناس لا تستلزم جهازاً صحياً متخصصاً يتولى المراقبة والمثالية.

٦- الشمولية: تتعامل نظرية الطب الوقائي في الإسلام مع الإنسان كمادة وروح، وعلى أنها ملزمة لكل من تحققت به صفة الإسلام، فهي إلى جانب وقايته من كل مكروه، تنفذ إلى نفسه وقلبه فتملؤهما قناعة وطمأنينة، وتجنبهما الغل والحسد والبغضاء التي أورثت الناس اليأس من الحياة، والإدمان على المخدرات والجنس فتدفعه في نهاية المطاف إلى السرقة والانتحار.

٧- الحماية من الأمراض الجنسية: تعامل الإنسان بواقعية، فلم يترك له الحبل على الغارب، بل جفف منابع الجريمة وكل طريقة يؤدي إليها، فمنع الاختلاط والخلوة والتبرج ثم وضع له الضوابط الكفيلة بتلبية غريزته الجنسية بلا رهابية خائفة ولا إباحية بهيمية، وبهذا الاعتدال جنبه ويلات الأمراض الجنسية التي تئن منها المجتمعات اليوم في غياب الإسلام.

٨- التركيز على نظرية الوقاية: تتولى قواعد الطب الوقائي قيادة أمر المسلم من تاريخ انتسابه للإسلام، ولا تنتظره حتى يمرض لتباشر عملها، إنها تستمر معه تسد عنه كل نافذة قد تؤذيه، وبعد هذا إن حصل واجتاح ديار الإسلام وباء، فإنها تأمر الذين فيه الصبر عليه واحتسابه عند الله ثم البقاء مكانهم وعدم القدوم عليهم حتى

يصرفه الله وقد وعد من مات منهم بأن له الجنة، لقاء تفضيله
مصلحة الجماعة على مصلحته الخاصة.

٩- الديمومة: إن التزام المسلم بقواعد الطب الوقائي في الإسلام
ليس مرهوناً بمدة محدودة، إنما يستمر ملتزماً بها طيلة حياته على
الأرض، ذلك لأنها جزء من عقيدته، فإذا تخلف عن تنفيذها يكون قد
ترك تكليفاً شرعياً و عطل حكماً من أحكام الإسلام، ربما يخرج من
دائرة الإسلام إذا أصر على إنكاره، وبهذه الديمومة يضمن الإسلام
مسلماً قوياً ومجتمعاً نظيفاً.

١٠- إن مجموعة القواعد الوقائية في الإسلام رغم كمالها وكفايتها
للفرد والمجتمع إلا أنها لا تؤتي ثمارها، إذا ترك المسلم الالتزام
ببقية الأحكام الشرعية الأخرى، فهي جزء من نظام كامل ينفع
البشرية إذا سلمته زمامها وولته قيادتها، أما الالتزام ببعض أحكام
الإسلام وترك البعض الآخر فهو نوع من الالتزام الممقوت، ونوع
من التخبط والضياع وهدر الوقت والجهد، فترك الصيام مثلاً يرافقه
ترك للصلاة وترك الصلاة يسقط فرضية الوضوء والغسل من
الجنابة والحيض والنفاس كما يسقط سنة السواك وسنن الفطرة،
وهكذا فالتنازل عن حلقة يجر إلى التنازل عن عدة حلقات حتى
تنفرط السبحة عن آخرها.

موافقة دائرة المطبوعات والنشر

رقم الإجازة المتسلسل ١٩٨٧/٩/٣٣١

رقم الإيداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

١٩٨٧/٩/٤١٣